مستويات التّناظر في مجالس التّذكير لابن باديس

The phenomenon of symmetry in Majalis Al-Tathkeer for Ibn Badis

شيخ عبدالله*

تاريخ استقبال المقال: 2022/11/19 تاريخ القبول:2022/12/15
تاريخ النشر:2022/12/22

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز أوجه التناظر الواردة في تفسير مجالس التذكير لابن باديس واستخراج المواضع التي استخدم فيها المؤلف ظاهرة التناظر، ويتجلى ذلك من خلال عرض نماذج تطبيقية ومحاولة ربطها بالتقسيمات الحديثة التي توصل إليها البحث اللغوي المعاصر.

وتوصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج منها أن ظاهرة التناظر من الظواهر اللغوية القرآنية التي تعين على تدبر القرآن الكريم وتفيد في بيان أوجه إعجازه، وتفسير مجالس التذكير أبرز شيئا من هذه الأوجه، حيث تحدث ابن باديس عن المناسبات بين السور والآيات.

كلمات مفتاحية: التناظر، القرآن، ابن باديس، مجالس، التذكير.

Abstract:

This article aims to highlight the application of symmetry in the interpretation of Ibn Badis's book "Majalis Al-Tathkeer" and to extract the places in which the author talked about the phenomenon of symmetry, and to demonstrate this by presenting applied models and trying to link them to the modern divisions reached by contemporary linguistic research.

* جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم، chikhabdellah12@gmail.com

This study reached a number of results, including that the phenomenon of symmetry is one of the linguistic phenomena of the Qur'an that helps in contemplating the Holy Qur'an and is useful in explaining its miracles in some Surahs and Ayas.

Keywords: Symmetry, the Qur'an, Ibn Badis, councils, remembrance.

1. مقدمة:

تعتبر ظاهرة التناظر من الظواهر اللغوية التي تؤكد تناسق آي القرآن وانسجامها وترابطها والوقوف على هذه الظاهرة يعين على تدبر القرآن الكريم والكشف عن دلالات آياته وتفسيرها.

ومن التفاسير التي اعتنت بالجانب اللغوي وبينت أوجه التقابل والتناظر في القرآن الكريم تفسير مجالس التذكير لابن باديس وهو من التفاسير التي تزخر بها المكتبة الجزائرية فقد أبدع ابن باديس رحمه الله في تفسيره للقرآن باستخراج مكنوناته وكنوزه.

يقول ابن باديس: "المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور ببعض، ويستخرجون منها بالتدبر ما لا يحصى من الأنواع".

أشار ابن باديس بمقولته هاته إلى نظرية التناظر بين السور، كما أنه أورد في تفسيره سور متناظرة وبيَّن وجه ذلك، وذكر الآيات المتناظرة في مواضع عديدة من كتابه، حيث نجده يذكر الآية، ويقول: (وهي نظير قوله تعالى...)، ويأتي بالآية التي تناظرها في اللفظ أو في المعنى أو في الموضوع العام.

ومن خلال هذه المقالة سنحاول بيان مواضع التناظر كما رصدها ابن باديس، وبيان علاقتها بنظرية التناظر وتصنيفها حسب المستويات، والمنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي وفق آلية الاستقراء وذلك بتتبع المواضع التي تحدث فيها ابن باديس عن التناظر وتحليلها وتصنيفها وفق المستويات المذكورة في المقال.

وعليه، فما هي مظاهر التناظر في القرآن الكريم عند ابن باديس؟ وما أثرها على مفسر القرآن وقارئه؟

2. نبذة عن الشيخ عبد الحميد بن باديس صاحب مجالس التذكير

2. 1. مولده ونشأته وطلبه للعلم:

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد سنة (1308هـ/1889م) من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء، حفظ عبد الحميد القرآن الكريم على الشيخ محمد المواسي، ثم اختار طريق العلم، فأسلمه والده إلى العالم الورع التقي حمدان الونيسي، فرباه على العلم والفضل والأدب، وأوصاه بالابتعاد عن الوظيف، وقراءة العلم للعلم لا للرغيف[1].

فكانت نشأة ابن باديس في كنف العلم وأهله، ورضع العلم والحكمة منذ نعومة أظافره.

تزوج سنة 1904م، وأنجب ولدا أسماه إسماعيل، حفظ القرآن وحضر العلم، ثم توفي وهو صغير، ولم ينجب غيره، ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة في تونس سنة 1908م لطلب العلم وتتلمذ على صفوة علمائه الشيخ محمد النخلي القيرواني، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور، وكان لهذا فضل تكوينه الأدبي واللغوي، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ الصالح النيفر، وغيرهم من أفاضل علماء جامعة الزيتونة، وتخرج من الزيتونة سنة 1912م بشهادة عليا (شهادة التطويع)، وذهب إلى الحج سنة 1912، والتقى في المدينة المنورة بشيخه المهاجر حمدان الونيسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، وتدارسوا وضعية الجزائر وضرورة إنشاء "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وإن تأخر إنشاؤها حتى سنة 1931م، زار لبنان وسوريا ومصر، في طريق عودته، وأجازه الشيخ بخيت من كبار علماء الأزهر بشهادة العالمية من الأزهر الشريف[2]

1- ينظر عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: 2، 1400 هـ – 1980م، ص: 28.

2- ينظر المرجع نفسه، ص: 28.

فابن باديس زاوج بين الدراسة النظامية والدراسة التقليدية ودرس في بلاده ورحل في أقطارها وخارجها، وأخذ العلم عن مشايخ كثر واحتك بهم، وحصّل عنهم، كما كان له دور بارز في نشر العلم وتجلى ذلك من خلال مؤلفاته وتلاميذه وإنشائه للجمعية والمجلات رفقة علماء بلده.

2. 2. جهوده ومؤلفاته:

كانت جهود ابن باديس كبيرة، فقد أعطى الجزائر الكثير، واكتفى بالقليل قوتا ومتاعا، فهو مدرس ماهر، لا يكل ولا يمل، يدرس من بعد صلاة الفجر إلى صلاة العشاء مع قسط ضئيل للراحة والصلاة والغداء، ثم يعظ الناس في مسجده بعد صلاة العشاء، لأنه أشفق على ينبوع الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما تراكم فيه من غثاء وحطام، فانبرى بالتدريس والإصلاح ليجعل للإسلام النقي الواضح قولا في كل مسألة، ورأيا في كل معضلة، وتوجيها في كل قصد[1].

أقام يعلم النشء الجزائري ويعده من أجل المستقبل. وفي سنة 1926 أصدر جريدة "المنتقد" ولكنها لم تعمر طويلا، فقد عطلتها السلطات الاستعمارية بعد أن صدر منها ١٨ عددا، فأصدر بعدها (1926) مجلة "الشهاب" وقد صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا تعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر ونهضتها الحديثة فيما بين الحربين الأولى (1914) والثانية (1939). وأصدر- فيما بعد- صحفا أخرى ك "الشريعة" و"السنة المحمدية" و"الصراط" ولكنها أيضا لم تعمر طويلا. وكان شديد الحملات على الاستعمار الفرنسي، وحاولت الحكومة الفرنسية إغراءه ببعض المناصب فامتنع واستمر في جهاده، وقد امتد نشاطه إلى بقية المدن الجزائرية كوهران وتلمسان والجزائر العاصمة، وأنشأت جمعية العلماء المسلمين

1- ينظر عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1416هـ - 1995م، ص8.

في أيام رياسته لها كثيرا من المدارس، من آثاره "مجالس التذكير" في التفسير، اشتغل به تدريسا زهاء 14 عاما، و"العقائد الإسلامية" و"جواب سؤال عن سؤال"[1].

مما سبق يظهر الأثر البالغ لهذا العَلَم الشامخ، فقد كان دوره محوريا في إحياء العلم الشرعي والمحافظة على اللغة العربية في بلده من خلال نشاطه الذي طال مختلف بقاع الوطن، وتعدى إلى خارجه، فقد انتشرت مؤلفاته وذاع صيته وأقبل عليه الناس من كل حدب وصوب.

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، توفي عبد الحميد بن باديس رحمه الله في ربيع الأول سنة 1359هـ، الموافق للسادس عشر من إبريل سنة 1940م[2].

3. مرجعيات وأسس نظرية التناظر

3. 1. جذور نظرية التناظر في التراث العربي:

تعود جُذُور نظرية التناظر في القرآن الكريم إلى الدراسات العربية والتفاسير القديمة إلا أنها لم تتوسع فيها لدقتها، وممن تحدث عن الترابط بين سور القرآن الكريم السيوطي في كتابه "أسرار ترتيب السور"، حيث بَيّن ترابط السور بعضها ببعض وترابط السورة مع التي بعدها[3].

كما أكثر الرازي من هذا في تفسيره حيث قال: "وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4]، كما أشار إلى ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه "سراج المردين"،

1- ينظر عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، ص 10.

2- ينظر عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص14.

3- ينظر جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب السور، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص8، وص87.

4- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، 1420 هـ، ج10، ص110.

حيث قال: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه"[1].

وعليه يمكن القول بأن اللغويين والمفسرين القدامى تنبهوا لهذه النظرية إلا أنهم لم يتوسعوا فيها و لم يظهروها للعلن، و لم يجمعوا مبادئها وأسسها في مصنف واحد، حتى جاء بعض الباحثين المعاصرين فأخرجوها للعلن بعد جهد جهيد وبحث حثيث، فجمعوا مادتها في مصنفات خاصة وأفردوها بالبحث والدراسة ووضعوا قواعد وتقسيمات جيدة ومفيدة، وأجروا تطبيقات عليها لتكتمل النظرية فكرةً وإجراءً.

3. 2. أسس ومنطلقات نظرية التناظر

جاءت فكرة هذه النظرية من آية في سورة الزمر، إضافة إلى آيات أخرى وأحاديث كانت هي المرجعيات لتأسيس هذه النظرية، وآية الزمر هي قوله تعالى: ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ منه جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثم تلين جلودهم وقُلُوبُهُم إِلَى ذَكْرِ اللهِ ذَلك هُدى اللهِ يَهْدِي بِهِ من يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لهُ مِنْ هادٍ**﴾ "الزمر 23"، فقوله تعالى: "مثاني" إشارة إلى تثنيةِ سوره وآياته وتناظرها، وتثنية أخباره وأنبائه وأحكامه وحججه، وتثنية الأمرِ مِرارًا وفي غير موضع في القرآن، وقوله "متشابها" أي يشبه بعضه بعضًا ويصّدق بعضه بعضًا ويدل بعضه على بعض[2].

ومن هنا يتبين أنه لا تكاد تخلو سورة قرآنية من التناظر لأن القرآن وُصف هنا بكونه مثاني، ووصف أيضا بالمتشابه والتشابه ضرب من أضرب التناظر.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376هـ - 1957م، ج1، ص 36.

2- ينظر أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- مبدأ النظرية، الأطروحة للعلوم الانسانية، بغداد، عدد9، 2018، ص15.

وأشار إلى مضمون هذه النظرية ابن الأنباري حيث قال: "اتساق سور القرآن كاتساق آياته وحروفه، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم فيه سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن"[1].

يشير ابن الأنباري في مقولته هاته إلى وجود التناسب بين كل سورة مع التي تليها حيث يمنع التقديم والتأخير وإحداث الخلل في الترتيب داخل السورة الواحدة وبين السورتين وهو ما يعرف بتناظر الانسحاب بين السور.

3. 3. أدلّة نظرية التناظر

ومن الآيات القرآنية التي أسست لهذه النظرية قوله تعالى: **﴿أَلَم ترَ كيْف ضَـرَبَ اللّه مثَلاً كَلِمَةً طيِّبةً كشجرةٍ طيِّبةٍ أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ويَضْرِبُ اللّهُ الأمثَالَ لِلنَّاسِ لعَلَّهُمْ يَتذكَّرُونَ﴾** [إبراهيم 25].

فالقرآن كلام الله أطيب الكلام وأحسنه لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»[2]، وقوله " إن أحسن الحديث كلام الله "[3].

وكل كلام طيب كالشجرة الطيبة، ولا شك أن حسن الشجرة كامن في جمال شكلها وحلاوة ثمارها، والآية أشارت إلى الشكل أولا، بقوله تعالى: **﴿أصْلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماء﴾**، وفروع الشجرة الطيبة متناظرة ومتناسقة، تزيدها نضرة وجمالا، ويقصد بها ههنا النخلة كما في حديث أنس بن مالك، قال: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب، فقال: **﴿مثَلاً كَلِمَةً طيِّبةً كشجرةٍ طيِّبةٍ أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي**

---

[1]- جلال الدين السيوطي، الاتقان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، ج1، ص217.

[2]- مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج2، ص703.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص592.

السَّماء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قال: هي النخلة"[1]، وكذلك أطيب الكلام نجده متناسقا متناظرا، فكلام الباري سبحانه أحسن الكلام شكلا ومعنى، ولا يخلو من تناظر وتقابل، وقوله بعد ذلك ويضرب الله الأمثال للناس أي يشبه لهم الأشباه ويذكر لهم النظائر ليتذكروا ويفهموا ويتعضوا.

والتناظر منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح محدد منضبط منتظم تتوافق فيه السور القرآنية لتكون كل سورة مناظرة لسورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السورة الواحدة لتكون كل آية مناظرة لآية أخرى[2].

والتناظر سر من أسرار الله العظيمة في هذا الكون الذي تناسقت وتناظرت مكوناته ووحدات بنائه الصغيرة **﴿وَمِن كلِّ شيء خَلَقْنا زَوْجَين لَعلَّكم تَذَكَّرون﴾** [الذاريات 49]"[3].

"والتناظر هو تعبير عن تكافؤ الأشياء وتقابلها، حيث أن الأقسام المختلفة الموجودة في جسم ما تبدو كما لو كانت هي نفسها"[4].

"وقال مجاهد: معناه أن هذه إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء، كالليل والنهار، والشقوة والسعادة، والهدى والضلالة، والأرض والسماء، والسواد والبياض،

---

[1]- الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج5، ص295.

[2]- سليمان الدقور، التناظر في القرآن الكريم- تأصيل وتطبيق، إسلامية المعرفة، بغداد، السنة الرابعة والعشرون، عدد96، 2019، ص15.

[3]- أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- مبدأ النظرية، الأطروحة للعلوم الانسانية، ص15.

[4]- المرجع نفسه، ص15.

والصحة والمرض، والكفر والإيمان ونحو هذا، قال ابن عطية: ﴿وَمِن كلِّ شـــيء خَلَقْنـــا زَوْجَين﴾، أي: مصطحبين ومتلازمين"[1].

وقال ابن كثير: "﴿وَمِن كلِّ شيء خَلَقْنا زَوْجَين﴾، أي: جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، ومـــوت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات جن وإنس، ذكور وإناث والنباتات[2].

ومن الأدلة على التناظر في آي القرآن حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قـــال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي»[3].

فالآية الأولى من الفاتحة ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، تناظرها الآية الأولى من القسم الثاني، وهي: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، ودلالة التناظر بينهما أن حمد الله سبب التوفيق للهداية، وقوله ﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾، تناظرها: ﴿صراط الذين أنعمت علـــيهم﴾، ودلالـــة التناظر بينهما أن رحمة الله طريق نيل نعمته، وآية: ﴿ملك يوم الدِّين﴾، تناظر آية: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾ ودلالة التناظر أن الإيمان باليوم الآخر يسلمك من غضب الله ويقيك من الضلال والانحراف[4].

---

[1]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى – 1422ه، ج5، ص181.

[2]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية 1420هـ - 1999 م ج7، ص 424.

[3]- مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص296.

[4]- ينظر سليمان الدقور، التناظر في القرآن الكريم- تأصيل وتطبيق، مجلة بحوث ودراسات إسلامية العدد96، 1440ه-2019م، ص25.

فالقسم الأول من السورة يقابل القسم الأخير منها، والقسم الأول فيه الحمد والثناء والتمجيد، والقسم الأخير فيه الدعاء فالقسم الأول فيه حق الله والقسم الأخير فيه حق العبد، لذلك قال في الحديث بيني وبين عبدي.

ومن الأدلة كذلك حديث العصمة عن الدجال، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال»، قال مسلم: قال شعبة: من آخر الكهف"[1]، فتنوع الروايات الصحيحة التي تدل على أن أول السورة أو آخرها، كلاهما يعصم من الدجال دليل على العلاقة بين هذه الأقسام وتناظرها، أي تناظر القسم الأول من سورة الكهف مع القسم الأخير، وإلا لمَا أجزأ آخر الكهف عن أوّلها في العصمة[2].

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لآخر سورة الكهف: "وهذا من رد العجز على الصدر من قوله في أول السورة: ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه إلى قوله إن يقولون إلا كذبا﴾[الكهف: 2- 5]، فجاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة، إذ جعل التوحيد أصلا لها وفرع عليه الأصلان الآخران، وأكد الإخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى، وحصل مع ذلك رد العجز على الصدر وهو أسلوب بديع"[3].

والتناظر ظاهر بين فاتحة السورة وخاتمتها فبدايتها جمعت الترغيب والترهيب والبشارة والنذارة وكذا خاتمتها، فهو تناظر بداية مع نهاية في السورة الواحدة وتناظر دلالي حيث أن معنى التبشير والتحذير أو الترغيب والترهيب متواجد فيكليهما.

3. 4. أشكال التناظر واحتمالاته:

---

[1]- مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص555، 556.

[2]- ينظر أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- مبدأ النظرية، الأطروحة للعلوم الانسانية، ص15.

[3]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج16، ص55.

والتناظر بين سور القرآن هو النوع الأول من أنواع التناظر، ومن ذلك تناظر سورة الفاتحة مع سورة الناس، حيث أن سورة الفاتحة هي آخر القرآن، والسبع المثاني كما في الحديث أو القرآن "هي السبع المثاني والقرآن العظيم"، وقال السيوطي: "الفاتحة جمعت مقاصد القرآن"[1]، وذلك أنها اشتملت على الثناء والتعبد والأمر والنهي والوعد والوعيد وهكذا القرآن كله، أما سورة الناس فجمعت أوصاف المستعان به وهي الرب والملك والإله، ويجمع بين السورتين النصف الأول وهو: ﴿**إياك نعبد**﴾، والذي يلخص سورة الفاتحة[2].

"والنصف الثاني من الفاتحة وهو ﴿**إيَّاك نستعين**﴾ وسورة الناس، حيث أن القارئ يستعيذ بالله من الوسواس الخناس ويستعين بالله ليجنبه ذلك"[3].

فتناظر أول سورة من القرآن مع آخر سورة في المعاني العامة، ويتضح ذلك في مقابلة هذه المعاني المتكاملة.

وهنالك تناظر بين آي القرآن في السورة الواحدة، وقد توصل أيمن عيد الرواجفة إلى وضع طريقة لحساب السورة ونظيرتها والآية ونظيرتها.

كما نجد أيضا التناظر في الآيات التي يجمعها موضوع واحد، وتناظر القصص والمواقف، وتناظر الآيات المتشابهة وتوجد سور أو آيات أو جمل صغيرة (كلمات) لا مناظر لها أو لا تناظر فيها، تمثل الفكرة الأساسية للسورة أو معنى خاص ومميز تدور حوله السورة وتسمى الذاتية أو الهوية (**Identity**)[4].

---

[1]- جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب السور، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص49.

[2]- ينظر أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر السور، الأطروحة للعلوم الانسانية، ص13-14.

[3]- أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر السور، ص14.

[4]- ينظر أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- اتجاه نحو الابتكار والتجديد، الأطروحة للعلوم الانسانية، بغداد، عدد13، 2018، ص14.

4. أنواع التناظر ومستوياته:

4. 1. المستوى الأول: تناظر السور في القرآن الكريم:

تناظر السور في القرآن الكريم، فالسور من البقرة إلى الصافات، تُناظر السور من سورة ص إلى سورة الناس، بداية مع بداية، وبداية مع نهاية، أو الانسحاب والانعكاس، أي: البقرة/المجادلة، وآل عمران/الحشر، والنساء/الممتحنة...، والكهف/المدثر، ومريم/القيامة...، الرحمان/المسد، والواقعة/الإخلاص، والحديد/الفلق، وتناظر السور من الناس إلى المجادلة بداية مع نهاية، أو الانعكاس)، ويمكن معرفة السورة المناظرة في النصف الثاني لسورة من النصف الأول، من العلاقة التالية:

السورة المناظرة من النصف الثاني =[(سور القرآن/2)-1)]+السورة من النصف الأول[1].

نخلص إلى أن المستوى الأول من مستويات التناظر يصطلح عليه بتناظر الانسحاب والانعكاس، فتتناظر السورة مع التي تليها، وتتناظر سور النصف الأول من القرآن مع سور النصف الثاني، بحيث السورة الأولى من النصف الأول تناظر السورة الأولى من النصف الثاني، والسورة الثانية من النصف الأول تناظر السورة الثانية من النصف الثاني، وهكذا دواليك بالترتيب، إلى أن نصل إلى التناظر بين السورة الأخيرة من النصف الأول مع السورة الأخيرة من النصف الأول، كما نجد شكلا آخر على هذا المستوى وهو تناظر السورة الأولى من النصف الأول مع السورة الأخيرة من النصف الثاني، وتناظر السورة الثانية من النصف الأول مع السورة ما قبل الأخيرة من النص الثاني، وهكذا حتى نصل إلى تناظر السورة الأخيرة من النصف الأول مع السورة الأولى من النصف الثاني.

4. 2. المستوى الثاني: تناظر الآيات في السورة الواحدة:

[1]- أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر الآيات والجمل والكلمات في سورة البقرة، قرآنيكا، ملايا ماليزيا، عدد1، 2019، ص110.

تناظر الآيات في السورة الواحدة، ويمكن معرفة الآية المناظرة في النصف الثاني من السورة لآية من النصف الأول، من العلاقتين التاليتين:

أ- للسور التي فيها عدد الآيات زوجي:

الآية المناظرة من النصف الثاني= (عدد الآيات الكلي/2)+الآية من النصف الأول.

ب- للسور التي فيها عدد الآيات فردي: الآية المناظرة من النصف الثاني=[(عدد الآيات الكلي -1)/2]+(الآية من النصف الأول +1)[1].

4. 3. المستوى الثالث والرّابع:

أما المستوى الثالث فيخص تناظر مجموعة من الآيات (أقلها آيتين) في السورة الواحدة وتناظر الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، وأما المستوى الرابع فيشمل تناظر الكلمات في الآية الواحدة[2].

4. 4. المستوى الخامس:

تناظر القصص والمواقف، وقد أشار إلى هذا المستوى حيث ذكر أن السور الثلاث الأخيرة مشاكلة للثلاث الأولى في المقاصد وكثرة الفضائل والفوائد: الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، والفلق للبقرة طباقا ووفاقا، والناس للفاتحة، وزاد ابن يحيى: المسد للنساء، والنصر للمائدة، والكافرون للأنعام، والكوثر للأعراف، والماعون[3].

مما سبق تتلخص مستويات التناظر في القرآن، في ما يلي:

أولا: تناظر الانسحاب والانعكاس بين السور من نصفي القرآن الكريم.

ثانيا: تناظر الانسحاب والانعكاس بين آيات السورة الواحدة من نصفيها.

---

[1]- ينظر أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر الآيات والجمل والكلمات في سورة البقرة، ص110.

[2]- ينظر المرجع السابق، ص14.

[3]- إبراهيم البقاعي، مصاعِدُ النَّظر للإشرافِ على مقاصد السّوَر،، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، 1408 هـ - 1987 م، ج3، ص316.

ثالثا: تناظر مجموعة من الآيات في السورة الواحدة وتناظر الآيات المتشابهة في القرآن الكريم.

رابعا: تناظر كلمات الآية الواحدة ويسمى تناظر الجمل، أي أن الجملة الواحدة فيها تناظر داخلي بين مفرداتها.

خامسا: تناظر القصص والمواقف.

5. مستويات التناظر في مجالس التذكير:

استعمل ابن باديس التناظر اللغوي بمختلف أشكاله ومستوياته، لإبراز المعنى تارة ولبيان تماسك النص القرآني وتناسقه وبلاغته تارة أخرى، وفيما يلي عرضٌ لبعض النماذج التي يتمظهر فيها التناظر عند ابن باديس:

النموذج الأوّل:

في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

قال عبد الحميد بن باديس: فليس ذكر المفعول للتقييد، وإنما هو للتنبيه على أنه هو الذي ينتفع بالتذكير، نظير قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

ذكر ابن باديس في تفسيره لهذه الآية مصطلح النظير، وأورد آيتين متناظرتين من الناحية التركيبية والبلاغية، وأشار هنا إلى أنّ ذكر المفعول به للتنبيه على أنه المنتفع بالفعل، والآية الأولى في سورة ق، ونظيرتها في سورة البقرة، فوظّف ابن باديس التناظر التركيبي (النحوي) والبلاغي، حيث أن كلًّا من قوله:(من يخاف وعيد) وقوله:(المتقين)، لا يراد به التقييد، فقوله (من يخاف وعيد) وقعت مفعولا به لفعل الأمر (ذكِّر)،، والمتقين وقعت اسما مجرورا إلا أنها هي نفسها المفعول به للمصدر هدىً، والتقدير: ذلك الكتاب يهدي المتقين، فالمتقين مفعول به للفعل هدى أو يهدي المقدر في المصدر من قوله تعالى: ﴿هُدَىً

[1]– عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص26.

للمتّقين﴾، ومن يخاف وعيد مفعول به للفعل ذكّر، هذا من الناحية التركيبية، وهما متناظران دالاليا أيضا، فكلا الآيتين يفيد أن القرآن في آية سورة ق، وهو الكتاب في آية سورة البقرة، كلٌّ منهما ذكرى وهدىً للمقين وهم الذين يخافون الله ويخشونه، ومتناظران بلاغيا كذلك حيث أنه ذكر المفعول به لغرض التنبيه على أنه المنتفع بالذكر والتذكير والقرآن، ولا يقصد بالمفعول به هنا التقييد، فليست الذكرى والهداية مقيدة ومحصورة في من يخاف الله ويتقِيه، حيث أن القرآن تذكير وهداية وإرشاد لجميع العباد، وإنما ذكر المفعول به إشارة إلى كونه أدعى للاستجابة والانتفاع بالذكر الحكيم.

وهذا التناظر يدخل في المستوى الثالث ألا وهو التناظر بين الآيات المتشابهة، لأن الآيتين اللتين أوردهما ابن باديس هنا متشابهتان دلاليا وبلاغيا كما سبق، ومتقاربتين نحويا من جهة ذكر المفعول به، وإن كان الفعل صريحا في الآية الأولى وهي آية سورة ق، ومقدرا في المصدر الذي يعمل عمل الفعل في الآية الثانية.

النموذج الثاني:

قال ابن باديس: من بلاغة القرآن أن تأتي مثل هذه الآيات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات؛ فتكون الآية الواحدة بتلك الاحتمالات كأنها آيات: نظير مجيء الآية بقراءتين، فتكون كآيتين مثل قوله تعالى: ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: 6][1].

يشير ابن باديس هنا إلى القراءتين السبعيتين قراءة "فتبينوا" وقراءة "فتثبتوا"، وذكر الطبري هذا الخلاف في تفسيره، فقال: "واختلفت القَرَأَةُ في قراءة قوله: "فتبينوا"، فقرأ ذلك عامة القراء المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين والبصريين: (فتبينوا) بالياء والنون، من

[1]- المصدر السابق، ص230.

"التبين" بمعنى، التأني والنظر والكشف عنه حتى يتضح، وقرأ ذلك معظم قراءة الكوفيين: (فتثبتوا)، بمعنى التثبت، الذي هو خلاف العجلة"[1].

وقال الرازي: "قرأ حمزة والكسائي هنا وكذلك في الحجرات فتثبتوا من ثبت ثباتا، والباقون بالنون من البيان، والمعنيان متقاربان، فمن رجح التثبيت قال: إنه خلاف الإقدام، والمراد في الآية التأني وترك العجلة، ومن رجح التبيين قال المقصود من التثبيت التبيين، فكان التبيين أبلغ وأكمل"[2].

فتكون هذه الآية باحتمالها مفيدة تنزههم عن شهود الباطل، وعن شهادته.

وقال ابن باديس في تفسيره: وقوله تعالى في آية الوضوء: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: 5]، بالنصب عطفاً على الوجه فيفيد غسل الأرجل، وتلك هي الحالة الأصيلة العامة، وبالخفض عطفاً على الرؤوس فيفيد مسح الأرجل وتلك هي حالة الرخصة عند لبس الخفاف[3].

وفي القراءتين اللتين أشار إليهما ابن باديس هنا تناظر، الأولى يستفاد منها الغسل والثانية المسح.

وما أورده ابن باديس في النماذج المذكورة هنا، يؤخذ منه لون جديد من ألوان التناظر ألا وهو تناظر القراءات القرآنية، ويمكن تصنيف هذا النوع من التناظر في المستوى الرابع ألا وهو تناظر الكلمات من الآية الواحدة، فكلمة (تبينوا)، و(تثبتوا) في آية واحدة،

---

[1]- ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420ه، 2000م، ج9، ص89.

[2]- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، 1420 هـ، ج11، ص189.

[3]- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص230.

وكل منهما في قراءة سبعية، وإذا اعتبرنا كل قراءة آية مستقلة، يكون هذا النوع في المستوى الثالث وهو مستوى الآيات المتشابهة.

ومن العلماء الذين ذكروا أن الآية الواحدة بقراءتين كالآتين ابن الجزري والسيوطي وغيرهما، حيث ابن الجزري: "وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها... فمنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار وجمال الإيجاز ؛ لأن كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات"[1]، وقال السيوطي: "تنوع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حده لم يخف ما كان فيه من التطويل"[2]، ويقول الزرقاني: "الخلاصة أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز"[3].

مما سبق يتبين أهمية التناظر بين الآيات من خلال القراءات الثابتة، وأنه معين في كشف الدلالات القرآنية للآية، حيث يستفاد من كل قراءة معنى مختلف، ودلالة زائدة، ويؤخذ منها حكما آخر وفائدة مضافة إلى القراءة الأخرى، ومقابلة لها.

النموذج الثالث:

قال ابن باديس وهو يتكلم عن فواتح السور: «قال بعضهم: إنها حروف تعجيز وإفحام وتقريع؛ لأن القرآن الذي عجزوا عن معارضته، من هذه الحروف وأخواتها تركبت كلماته فكأنما يقال لهم: ما هذا الذي عجزتم عنه إلاّ كلام من جنس كلامكم، وما ركبت كلماته إلاّ مما ركبت منه كلماتكم، وهذا لعجزهم أفضح، ولتقريعهم أوجع»[4].

1- أبو القاسم النُّوَيْري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1424 هـ - 2003 م

2- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974م، ج1، ص279.

3- الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الثالثة، ج1، ص149.

4- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص287.

ومما يؤيد هذا أن أكثر هذه الفواتح ذكر بعده الكتاب المعجز وصفاته مثل قوله تعالى:﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 1 و2].

﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: 1-3].

﴿المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 1 و2].

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: 1].

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: 11].

﴿اتر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1].

﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: 1 و2].

﴿الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: 1 و2].

﴿حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: 1و 2]. وغيرها[1].

ذكر ابن باديس السور المتناظرة بالاستهلال بالتنبيه، فقال عن هذه السور المذكورة: افتتحت هذه السور من القرآن العظيم بكلمات التنبيه، وجاءت أول سورة منه بعد الفاتحة مفتتحة به[2].

قال ابن أبي العز: "وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف بذكر القرآن... فنبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه؛ بل خاطبكم بلسانكم"[3].

---

[1]- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص287.

[2]- المصدر نفسه، ص288.

[3]- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ط: الأولى، 1418 هـ، ج1، ص151.

وقال الأمين الشنقيطي: " أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف"[1].

ويمكن القول عن هذا النوع أنه من قبيل التناظر في الافتتاح، وذلك أنها تتشابه في كونها مفتتحة بحروف مقطعة وفي أن ما بعدها لفظ الكتاب، وفي ذلك تنبيه إلى أن هذا القرآن المعجز وهو كتاب الله مؤلفٌ من حروف عربية تنطق بها العرب، ومع ذلك عجزوا عن نظم كلام مثله، وإلى هذا ذهب جماعة من المفسرين أمثال الرازي والقرطبي والزمخشري والألوسي و ابن أبي العز وابن كثير والشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيرهم وتبعهم في ذلك ابن باديس، وهذه الآيات المتناظرة التي ساقها ههنا تندرج ضمن المستوى الثالث أي التناظر بين آيات القرآن المتشابهة في كونها مفتتحة بالحروف الهجائية التي تفيد التنبيه إلى ما يأتي بعدها من الإشادة بالقرآن المعجز والمؤلف من الحروف العربية.

النّموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾.

قال ابن باديس: فهو من المرسلين من جهة إرساله؛ لأنه منهم في أقواله وأفعاله نظير قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: 9]، وقوله: ﴿**بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الصافات: 37]، وقوله: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [النساء: 163][2].

---

[1]- محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995م، ج2، ص166.

[2]- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص292.

ذكر ابن باديس هنا الآيات المتناظرة التي تتحدث عن موضوع الرسالة النبوية لمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنها من جملة الرسالات التي أرسل بها الرسل من قبله.

النّموذج الخامس:

قال ابن باديس في قوله تعالى: ﴿**حملناهم**﴾، من الحمل بمعنى الرفع؛ أي أركبناهم ورفعناهم على المركوبات، مثل قوله تعالى:﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾[التوبة: 92]، ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾ [القمر: 13]، ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾ [الإسراء: 3][1].

الآيات التي أوردها ابن باديس هنا تعالج لفظ الحمل، وورود في مواضع مختلفة من آي الذكر الحكيم وهو تناظر موضوعاتي.

النّموذج السادس:

قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: 64]، هذه الآية من آيات الحث على قيام الليل، مثل قوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [السجدة: 16][2].

يلاحظ هنا تناظر الآيات من حيث الموضوع، وهو المصطلح عليه بالتناظر الموضوعاتي كما سبق لأن الآية ونظيرتها التي ذكرها ابن باديس تدور حول موضوع واحد، ألا وهو قيام الليل.

النّموذج السابع:

الآيات المتناظرة التي تدور حول الحوار بين إبليس وبين خالقه، كقوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: 82]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: 62]، وقوله:

---

[1]- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص128.

[2]- المصدر نفسه، ص198.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: 119].

قال ابن باديس: فهو جاهد –يعني الشيطان–في أن يبعد الناس عن الله؛ بإفساد العقيدة الصحيحة فيه أو بالصرف عن شرع الله، أو بالحمل على عبادة غيره، فلذلك كله جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية التي يريد الشيطان أن يقطعها[1].

ذكر ابن باديس ههنا النظائر من الآيات المتشابهة التي تعالج القصة نفسها بأساليب مختلفة، وهذا ما يسمى بالتناظر القصصي وهو من المستوى الخامس من مستويات التناظر المذكورة آنفا.

النّموذج الثامن:

قال ابن باديس في تفسيره للمعوذتين: "هذه هي المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتباً ترتيبه التوقيفي، وبين هاتين السورتين في اتحاد موضعهما، وأما المناسبة الخاصة بين السورتن وبين سورة الاخلاص، فهي:

أن سورة الإخلاص قد عرفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد؛ فإذا قرأت القرآن وتدبرته على ترتيبه، ووجدت توحيد الله منبثاً في آياته وسوره، متجلياً ذلك التجلي الباهر بما عرضه وصوره، ساداً ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع– كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد في القرآن، هذه السورة المعجزة على قصرها، فكأنها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد، وكأنها وصية مودع مشفق بمهم يخشى عليك نسيانه؛ فيعمد فيها من الكلام إلى ما قل ودل و لم يمل، ومن صدقك في توحيدك لله في ربوبيته وإلهيته أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله، وإخلاص توحيدك إياه، فأنت وقد آمنت وصدقت، وخرجت من سورة الإخلاص متشبعا بمعانيها، ومنها معنى الصمد– تستشعر أن

[1]– عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص382.

العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلاّ ذلك الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فتجيء المعوذتان بعد الإخلاص مبينتين لذلك الالتجاء الذي هو من تمام التوحيد، ولأجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاثة جمع بينهن في التسمية"[1].

بيَّن ابن باديس هنا وجه التناسب بين سورة الإخلاص وسورة الفلق وسورة الناس مع سورة الإخلاص وهي ثلاث سور متتالية في نهاية المصحف، وهي سور متناظرة من حيث المعاني كونها تعالج موضوع الربوبية والألوهية والتوحيد والسورتان الأخيرتان تخدمان موضوع الاستعاذة من الشيطان وشروره وواسوه وأعوانه ولذلك تسميان بالمعوذتين، وهذا النوع من التناظر يدخل في المستوى الأول وهو التناظر بين السور.

ونقل البقاعي عن أبي جعفر ابن الزبير أنه قال: "وجه تأخرها عن شقيقتها عموم الأولى، وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله: **﴿من شرِّ ما خلق﴾**، وإبهام **﴿ما﴾**، وتنكير **﴿غاسِقٍ﴾**، و**﴿حاسِدٍ﴾**، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص، ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، وأوفى بالمقصود، ونظير هذا في تقديم المعنى الأعم، ثم إتباعه بالأخص بتناول الدقائق والجلائل قوله سبحانه وتعالى **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**، في معنى الرحمن ومعنى الرحيم واحد لا في عموم الصفة الأولى، وكونها للمبالغة، وقد تعرض لبيان ذلك المفسرون، ولذلك نظائر"[2].

النّموذج التاسع:

قال ابن باديس في سر الختم بالمعوذتين: ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها في ارتباط بعض السور بالبعض، ويستخرجون منها بالتدبر ما لا

[1]- عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص370.

[2]- إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج22، ص425.

يحصى من الأنواع، وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما. وترتيب السور توقيفي، ليس من صنيع جامعي المصحف كما ذكره السيوطي في الإتقان وجماعة[1].

ثم قال: "يستطيع دارس القرآن ومتدبره ومتقلبه، بالذهن المشرق والقريحة الصافية، أن يستخرج من الحكم في هذا الختم بهما أنواعاً"[2].

أشار ابن باديس في تفسيره إلى التناسب والتناظر بين السورتين الأخيرتين من القرآن الكريم وهذا يدخل ضمن قسم تناظر السور كما أشار إلى التناسب بين السور وهو المسمى بعلم المناسبات الذي اهتم به بعض المفسرين أمثال السيوطي، وبين فائدته وأهميته في كشف أسرار القرآن والتفسير والتدبّر .

6. خاتمة:

نظرية التناظر في القرآن الكريم نظرية عظيمة تعين على تدبر معاني القرآن الكريم والغوص في أسراره وإبداعه اللغوي، وجذورها ضاربة في التراث اللغوي العربي، إلا أن العلماء العرب لم يخصوها بدراسة مستقلة و لم يوردوها كنظرية متكاملة الأركان، حيث كان للتناظر اللغوي دور كبير في الكشف عن أسرار القرآن والتأمل في جمال لغته وتدبر معانيه.

والمفسرون للقرآن أشاروا إلى مواضع كثيرة للتناظر في القرآن بشتى أنواعه، ومنهم ابن باديس في كتابه مجالس التذكير، الذي أورد فيه مجموعة من صور التناظر بين آي القرآن، وسوره، فيذكر الآية ونظيرتها في اللفظ أو في المعنى أو في الموضوع العام، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

– ابن باديس من أعلام الجزائر الذين أدوا دورا بارزا في خدمة اللغة العربية والقرآن الكريم، ويتجلى ذلك في مؤلفاته ونشاطاته ومن أبرزها تفسيره مجالس التذكير.

---

[1]– عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص369.

[2]– المصدر السابق، ص369.

– اعتنى ابن باديس بظاهرة التناظر في تفسيره، واستعمل مصطلح النظير في مواضع كثيرة من كتابه.

– تعود جُذُور نظرية التناظر في القرآن الكريم إلى الدراسات العربية والتفاسير القديمة إلا أنها لم تتوسع فيها لدقتها، ومن أبرز من عني بها الرازي وابن العربي وابن الأنباري والسيوطي.

– والتناظر منهجية قرآنية تؤكد بناء سور القرآن الكريم وآياته على نظام واضح محدد منضبط منتظم تتوافق فيه السور القرآنية، والآيات كل منها مع نظيرتها.

– التناظر أنواع وأشكال منها تناظر السور وتناظر الآيات وتناظر الكلمات والتناظر الموضوعاتي وتناظر القصص والمواقف، ومن ذلك صنفت هذه الأنواع وفق مستويات.

– مستويات التناظر خمسة: مستوى تناظر السور انسحابا وانعكاسا، ومستوى تناظر مجموعة من الآيات في السورة الواحدة وتناظر الآيات المتشابهة في القرآن الكريم، ومستوى تناظر كلمات الآية الواحدة ويسمى تناظر الجمل، والمستوى الخامس تناظر القصص والمواقف.

– في تفسير ابن باديس تناظر من المستوى الثالث ألا وهو التناظر بين الآيات المتشابهة، ونجد هذا المستوى موظفا في عدة مواضع من كتاب مجالس التذكير، من ذلك التناظر التركيبي والبلاغي في آية ق **﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾**، مع آية البقرة **﴿هُدَىً للمتَّقين﴾**، وهما آيتان متقاربتان نحويا من جهة ذكر المفعول به في كليهما، ومتحدان في الغرض البلاغي ألا وهو التنبيه، ومن نماذج المستوى الثالث الآيات المتناظرة التي تتحدث عن موضوع الرسالة النبوية، وموضوع الحمل، وقيام الليل، وهو التناظر الموضوعاتي.

– من صور التناظر التي نستفيدها من تفسير ابن باديس، التناظر بين الآيات من خلال القراءات القرآنية الثابتة، وأنه معين في كشف دلالات الآية، حيث يستفاد من كل قراءة معنى مختلف، ودلالة زائدة، ويؤخذ منها حكما آخر مقابل حكم نظيرتها.

– ذكر ابن باديس السور المتناظرة بالاستهلال والتنبيه، وهو من قبيل التناظر في الافتتاح، وذلك أن هذه السور تتشابه في كونها مفتتحة بحروف مقطعة وفي أن ما بعد الفواتح لفظ الكتاب تنبيها إلى أن القرآن المؤلَّف من هذه الحروف أعجز فصحاء العرب.

– في الكتاب توظيف للتناظر القصصي، وهو المستوى الخامس من مستويات التناظر، ومن نماذج القصص القرآنية التي جمع ابن باديس نظائرها، قصة إبليس عند خلق آدم، وفيها تعددت روايات أقوال الشيطان في الموقف الواحد.

– التناسب والتناظر بين السورتين الأخيرتين من القرآن الكريم، وهذا يدخل ضمن قسم تناظر السور، كما أن التناسب بين السور وهو المسمى بعلم المناسبات، مفيد في تدبر معاني السور ومقاصدها العامة.

7. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- **المؤلفات:**

1. إبراهيم البقاعي، مصاعِدُ النَّظر للإشرافِ على مقاصد السّوَر، مكتبة المعارف – الرياض، ط:1، 1408 هـ - 1987 م.
2. إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1404ه.
3. ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418ه.
4. ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ - 2000م.
5. ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

6. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.

7. أبو القاسم النُّوَيْري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

8. أيمن عيد الرواجفة، التجسير بين الآداب والعلوم نظرية المجموعات (الزمر) والتناظر في القرآن الكريم، دار جليس الزمان، عمان الأردن، ط:1، 2021م.

9. الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

10. جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب السور، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 2002م.

11. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ/ 1974م.

12. الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الثالثة.

13. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: 1، 1376هـ - 1957م.

14. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،، الطبعة: الأولى، 1418ه 1984ـــم.

15. عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر – مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: 2، 1400 هـ - 1980م.

16. عبد الحميد بن باديس، تفسير مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.

17. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3، 1420 ه.

18. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995مـ.

19. مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1374ه.

- **المقالات:**

20. أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر الآيات والجمل والكلمات في سورة البقرة، قرآنيكا، ملايا ماليزيا، عدد1، 2019م.

21. أيمن عيد الرواجفة، نظرية المجموعات والتناظر في القرآن الكريم- تناظر السور، الأطروحة للعلوم الانسانية، بغداد، عدد1، 2019م.

22. أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- اتجاه نحو الابتكار والتجديد، الأطروحة للعلوم الانسانية، بغداد، عدد13، 2018م.

23. أيمن عيد الرواجفة، نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم- مبدأ النظرية، الأطروحة للعلوم الانسانية، بغداد، عدد9، 2018م.

24. سليمان الدقور، التناظر في القرآن الكريم- تأصيل وتطبيق، إسلامية المعرفة، بغداد، السنة الرابعة والعشرون، عدد96، 2019م.